منتهى الجنون..خطة أمريكية لتشويه الخطاب الديني لدى المسلمين

1/12/2003

مصدر الخبر : أرشيف الأخبار ...www.newsarchive.info

نيوز أرشيف : لا يمكن لعقل أن يتصور كيف تفكر الإدارة الأمريكية الآن ، فلقد أصبحت تتدخل في كل كبيرة وصغيرة في العالم ، حتى أحوال الناس الشخصية والدينية أصبحت تتدخل فيها، ومن ذلك ما نشرته صحيفة (السبوع)المصرية من أنه جربالفعل تشكيل لجنة داخل وزارة الخارجية الأمريكية أطلق عليها لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية، وأن هذه اللجنة انتهت من إعداد تقريرها النهائي، وأن الإدارة الأمريكية ستبلغ الدول العربية بمضمون هذه التوصيات في نشر الدعوة الدينية، أو كل ما يتعلق بأمور الدين الإسلامي.

وتشير المعلومات إلي أن تقرير اللجنة أكد أهمية أن يتم التركيز على تقليل الإهتمام بالجانب الديني في الحياة الإجتماعية العامة، وأن يبرز الدور الديني كمعيار ثانوي في أساليب الحياة الإجتماعية للمواطنين، حيث يرى أن أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت إلى انتشار الموجات الإرهابية هو الاهتمام بالجانب الديني في فترة السبعينيات.

ويرى التقرير أن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية، وأن تقنع شعوب هذه المنطقة بالتسابق إلى حيازة أنواع مختلفة من أدوات التكنولوجيا الحديثة، وأن يتم نشر أنماط جديدة من التنمية في هذه المجتمعات تعتمد بالأساس على الأسلوب الغربي.

ويقول تقرير اللجنة: إن هناك مشكلة أساسية تواجههم في مصر وهي أنه مع زيادة معدلات الفقر وانتشار البطالة فإن هناك تفكيرا تلقائيا ينشأ لدى الأفراد في اللجوء إلى الدين كوسيلة للخلاص من متاعب وأزمات الحياة الاجتماعية، وأنه لذلك يجب التركيز على تطوير الخطاب الديني في مصر تحديدا. وحسب المشروع الأمريكي فقد تم التركيز على مصر في برنامج المعونة الأمريكية الجديدة بعد أن جرى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الدعاة المصريين ورجال الدين المصريين هم الأكثر شهرة وتأثيراً في بقية الدول العربية والإسلامية، في حين احتل رجال الدين السعوديون المرتبة الثانية. ويرى المشروع أن خطة تطوير الخطاب الديني في مصر سيجري تنفيذها من خلال دورات تدريبية مكثفة، وهذه الدورات ستنعقد بين القاهرة وواشنطن وأن مدة كل دورة تدريبية ستكون ستة أشهر، ويلتحق بها من 500 إلى 600 من الدعاة ورجال الدين المصريين يمكثون منها ثلاثة أشهر في واشنطن وبقية المدن الأمريكية، وثلاثة أخرى في القاهرة. وسيتم إختيار عدد من رجال الدين الكبار الذين يرفضون الإرهاب ولديهم تفسير عقلاني للدين، وذلك ليكونوا محاضرين رئيسيين في هذه الدورات التدريبية، كما يحصل رجال الدين هؤلاء أيضاً على دورات تدريبية مدتها شهر واحد في واشنطن تتضمن كيفية إلقاء المحاضرات والتركيز على الجوانب المعنية من هذه الخطة..

وتشمل خطة تطوير الخطاب الديني التركيز على مفردات هذا الخطاب وليس موضوعاته فقط، خاصة ما ورد في القرآن أو في أقوال سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم (الحديث) لأنه وفق رؤيتهم فإن هذه المفردات هي التي تشكل السلوك العام والتفصيلي الذي يلتزم به الأفراد، بل إن هذه المفردات هي التي تؤدي إلى الإرهاب كما يرون. وعلى سبيل المثال يقول المشروع:إنه بعد أن تشاور أعضاء اللجنة مع عدد كبير من أبناء الجالية الإسلامية في أمريكا رأوا أن لفظة الجهاد يجب أن يتم قصر معناها على جهاد النفس مع الإلتزام بالعبادات فقط، وبالتالي يجب ألا يمتد معناها إلى القتال أو التحريض عليه أو أية تفسيرات أخري.

أما لفظة اليهود فيجب أن يكون التفسير هو أنه لا يقصد بهم اليهود أو الإسرائيليون الذين يعيشون في عصرنا حاليا، وإنما المقصود بهم قوم من البدو المتنقلين الذين عاشوا في الماضي السحيق، وأن أسباب الخلافات بين هؤلاء اليهود وأصحاب الرسول محمد (صلي الله عليه وسلم) في ذلك الماضي غير معروفة على وجه الدقة حتى الآن، وأنه لا يجوز أن يمتد العداء مع اليهود الذين يعيشون حالياً بسبب عداء غير مفهوم تم في الماضي القديم!! وهكذا تسعى اللجنة إلي تمرير هذه الأفكار من خلال خطة تطوير الخطاب الديني الذي يوصي برفع شعار العالم الأفضل والذي من خلاله تتشكل لجنة دينية عليا من المحمديين والمسيحيين وإليهود تهدف ¬كما يقول المشروع ¬إلى تبصير كل شعوب العالم بإلتقاء وجهات النظر والتقارب بين الديانات الثلاث.

وتقترح الخطة الأمريكية أن يمثل المحمديون في هذه اللجنة من خلال الأزهر، وبالتعاون مع نخبة من رجال الدين السعودي، وأن يمثل المسيحيون من خلال لجنة من الفاتيكان، واليهود عبر رجال الدين في إسرائيل وأوربا، وأن تعقد هذه اللجنة 4 اجتماعات كل عام في الأماكن المقدسة في القدس ومكة والمدينة ومقر الفاتيكان! وتشير الخطة إلى أن التوجيهات التي تصدرها هذه اللجنة العليا يجب أن تكون ملزمة لكل الدعاة في شتي أنحاء الدول الإسلامية، وأن يتم إعداد كتيبات عن أعمال هذه اللجنة يتم توزيعها على الدعاة.

وتركز خطة تطوير الخطاب الديني على الموضوعات التي يتم تناولها في الخطب العامة ويقصد خطبة الجمعة حيث تشير اللجنة إلى أنه لا يجوز بأي حال تسييس هذه الخطب العامة، خاصة بعد أن ثبت أن تسييس هذه الخطب هو الذي أدى إلي زيادة أعداد المتطرفين والإرهابيين في دول المنطقة، كما أن هذا التسييس يتم دائماً بهدف الهجوم على السياسات الغربية والإسرائيلية تحديداً.

وتطالب الخطة الأمريكية بأن يلتزم الدعاة بالتركيز في خطتهم على شعائرهم الدينية بعيداً عن أي تعصب أو إثارة للكراهية ضد الآخرين، بل وتطالب الخطة بفرض جزاءات فورية على كل رجل دين يحاول أن يقوم بتسييس الخطب العامة أو حتى في أحاديثه الإعلامية.

وتشدد الخطة على ضرورة وضع رجال الدين المسئولين عن الدعوة تحت رقابة أجهزة الدولة وذلك لضمان قيامهم بالتوجيه الديني المناسب الذي يقضي على نزعات التطرف والعدوان.

وترى الخطة أهمية أن تكون هناك خطة إعلامية متدرجة تبدأ بإزالة الحقد والبغضاء والإختلاف بين المحمديين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وفي مرحلة تالية فإن الخطة الإعلامية يجب أن تعمل على طرح أحاديث مشتركة ولقاءات حوارية يشارك فيها رجال الدين الإسلامي والمسيحي معاً حول كافة جوانب الاتفاق الممكنة، وفي المراحل الثلاث الأخيرة سينضم إلي هؤلاء رجال الدين اليهودي، على أن يجري تطبيق هذه الخطة الإعلامية أيضاً على نطاق التجمعات الأخرى داخل المجتمع، ونفس الأمر بالنسبة للكتب والمقررات الدينية وبعض الصحف التي يجب أن تركز على هذا الاتجاه وذلك من أجل عالم أفضل!!

وترى الخطة الأمريكية ضرورة أن يأخذ المحمديون بأحكام وشرائع المسيحيين واليهود في بعض المسائل الفقهية أو العبادات، لأن ذلك سيقرب وفقا لما ترى من نقاط الالتقاء بين هذه الأطراف وبعضها. وتشير الخطة إلي أن هذا لن يخل بخصوصية الدين المحمدي، لأنه على حد علمهم فإن الدين المحمدي في الكتاب المقدس يعترف بأنبياء الديانات الأخرى ، خاصة أن التوحد الديني سيظل هدفاً مثالياً وسنسعى إلى تحقيقه بكل الطرق والخطوات اللازمة.

دور المسجد أما عن دور المسجد فقد حاز على إهتمام كبير في إطار خطة تطوير الخطاب الديني حيث تهدف الخطة إلى أهمية أن يتحول المسجد إلى مؤسسة إجتماعية تربوية بدلاً من كونه أداة للتحريض وبث الكراهية في مواجهة الأخرى.

وترى الخطة ضرورة ألا يقتصر دور المسجد على الجوانب الدينية فقط، بل يجب أن تلحق به حدائق للأطفال والسيدات ، وأن يمارس الشباب بجواره مختلف الألعاب الرياضية، وأن تلحق به برامج كاملة لمحو الأمية وزيادة نسبة التعليم!! أما إمام المسجد فترى الخطة أنه يجب ألا يكون هو القائد المتحكم في كل هذه المؤسسة وإنما يجب أن تديرها إحدى الشخصيات الناجحة وذلك لضمان ألا تتحول هذه المؤسسة مستقبلا إلى مؤسسة دينية. وتقترح الخطة أن يلحق بهذه المؤسسة الاجتماعية أيضا إدارة كاملة لتلقي التبرعات الخيرية وأن ممثلاً من الدولة سيكون هو المسئول الأول عن هذه الإدارة ، وأنه هو الذي سيقوم بنقل هذه الأموال إلى الجهات العليا في الدولة التي سيتم الاتفاق معها على أوجه الانفاق . وسيضمن تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية إنشاء هيئة خاصة في كل مؤسسة لتنشيط دور المرأة إجتماعيا لأنه ووفقا لما توصلت إليه اللجنة الأمريكية فإن إحدي المشاكل الأساسية التي تواجه المرأة في ممارسة أدوارها السياسية والإجتماعية هو عدم وجود مؤسسات تدعم عمل وأنشطة المرأة، في حين أن ذلك يتوافر للرجال بشكل أساسي.

وتقول الخطة :إن المساجد تلعب دورا كبيرا في الانتخابات بجميع أنواعها، وأن المرأة يجب أن تمارس دورها في الدعاية الانتخابية من خلال المسجد بعد أن جرى الحظر عليها كثيراً في أوقات سابقة ، وأن تحويل المسجد من مؤسسة دينية إلي مؤسسة إجتماعية سوف يساعد في تحقيق المد الديمقراطي وممارسة المرأة لدورها . وترى الخطة أن أحد المتطلبات الجديدة لإنشاء المسجد هو أن يلحق به ما يضمن للمرأة أن

تمارس فيه نشاطها السياسي والاجتماعي، وبالتالي الاختلاط مع الرجال في داخل هذه المؤسسة الإجتماعية، فذلك فقط هو الذي سيضمن أن تتحول هذه المؤسسة إلى إحدي المؤسسات الداعمة للمد الديمقراطي، وهذا هو أحد الأهداف الأساسية التي ستسعى الخطة إلى تحقيقها في السنوات المقبلة بتحويل دور المسجد من كونه أداة ساعدت على تجمع الإرهابيين وطرح الأفكار الإرهابية إلى مؤسسة ديمقراطية تتم فيها ممارسة كافة الأنشطة على أن يبقى النشاط الديني هو أحد هذه الأنشطة.

وتقول الخطة: إنه بعد الاطلاع والزيارات واللقاءات المختلفة مع المحمديين سواء في الأراضي الأمريكية أو خارجها رأينا ظاهرة هامة يجب أن يتخلص منها المحمديون وهي تتعلق بأنه في خطبة الجمعة دائماً يكون المحاضر هو الذي يتكلم وحده، وأن الآخرين لا يجوز لهم الحديث نهائياً أو التعليق على كلامه أو توجيه أية انتقادات إليه، مما يكرس من مفهوم الاقتناع الذي يقوم به المحاضر تجاه كل الأفراد الذين يسمعونه، وهذا الأسلوب لابد من تغييره بأن يتم تحويل الخطب العامة إلىجلسات للنقاش والحوار بين مختلف الأطراف.

وتطالب الخطة بضرورة التشاور مع القيادات الدينية في مصر وبعض البلدان العربية لاقناعهم بالمزايا الديمقراطية الجديدة إذا ما تم تحويل خطبة الجمعة إلى منتديات للحوار والنقاش تشارك فيها كل الأطراف ، وتقترح الخطة ألا يكون موضوع الخطبة دينياً بالضرورة حيث يتوجب أن تكون هذه الخطب العامة ذات أهداف اجتماعية ، وأن يتم حل بعض المشكلات الإجتماعية من خلالها وأن يتم إلغاء الطابع الحماسي الإنشائي في هذه الخطب العامة.

وترى الخطة أن تطوير الخطاب الديني يستوجب أن يكون للفتيات والمرأة دور هام في ممارسة الخطابة الدينية وألا تكون هذه الخطابة مقتصرة فقط على الرجال، بل يجب أن يكون للمرأة دورها في خطبة الجمعة، مما يكرس مفهوم إزالة التفرقة غير المبررة بين الرجال والنساء، حيث لا توجد نصوص دينية كما ترى الخطة تحرم على المرأة أن تتولى خطبة الجمعة وقيادة الرجال في الصلاة!! والمدارس والخطاب الديني .

أما بالنسبة لدور المدارس في تطوير الخطاب الديني فإن الخطة تقترح أن يتم إلغاء مقررات التربية الدينية، وأن تخصص المدارس يوما كاملا للقيم الأخلاقية والمباديء بديلاً عنه ، حيث يقوم التلاميذ في هذا اليوم ببعض الأعمال الصالحة للمجتمع، على أن يجري التركيز في ندوات هذا اليوم على إدانة عمليات القتل والإرهاب ، والتأكيد على قيم التسامح والسلام مع الآخرين، إضافة إلي المباديء الحديثة للعلم والتكنولوجيا . ومن المهم وفقا للخطة أن يحوي هذا اليوم المدرسي صورة من صور التآلف بين التلاميذ من أصحاب الديانات المختلفة ، وذلك لإزالة أية حساسية في العلاقات بين أبناء هذه الأطراف خاصة في المستقبل ، مما يستوجب التركيز على صناعة المستقبل الديني لهؤلاء الأطفال من خلال ربطهم بقيم حياتية وأهداف يعيشون بها .

أما فيما يتعلق بالكتاب المقدس أو القرآن أو أقوال الرسول محمد صلي الله عليه وسلم(الحديث)فترى الخطة أن التلاميذ يجب أن يكونوا أحراراً في

أن يتعلموها خارج المدرسة، لأن المسجد سيكون له دوره الاجتماعي، ومن أحد هذه الأدوار هو تلقين هؤلاء الأطفال والتلاميذ ما يتعلق بأمور دينهم الصحيحة، وأن يستمعوا إلي كتابهم المقدس. وتقول الخطة في هذا الصدد: إن التنشئة الإجتماعية للطلاب والتلاميذ في البلدان العربية والإسلامية لابد أن تتميز بالقدرة على اكتساب مهارات التسامح مع الآخرين والقضاء نهائياًس على التعصب الديني تجاههم، وأن يتقين الجميع أن الأديان التي يؤمنون بها هي نتيجة طبيعية للتنشئة والأفكار السابقة التي اكتسبوها، وأن هذه الدلالة تجعل الجميع يشعرون بأنهم ينتمون لبني الإنسان، وأن كلا منا له الحرية الكاملة في معتقداته وأفكاره بشرط ألا يمثل ذلك اعتداء على حريات الآخرين أو التقليل من شأنهم.

وتقول الخطة: إن إحدى المشكلات الكبرى التي نجمت عن الإرهاب في السنوات الماضية التي أدت إلى تصعيد موجات التطرف من مجموعة تجاه الأخرى هو نمط التنشئة التمييزية في المدارس والمجتمعات العربية للطلاب والتلاميذ، وأن هذا النمط من التنشئة يقوم أساسا على فكرة أن المسلمين لهم الأفضلية الأولي في العالم الآخر، وأن أتباع محمد (صلي الله عليه وسلم) هؤلاء هم المبشرون بالنعيم والراحة، في حين أن كل أتباع الديانات الأخرى هم على خطأ وسيكون لهم عذاب كبير في الآخرة ، كما نشأت أفكار تمييز ضد أصحاب الديانات الأخرى مما أدى لإنتشار العنف والأفكار الخاطئة.

وترى الخطة أنه يجب التركيز أيضاً على نوعية الدعاة الجدد لأن الأفكار الأمريكية ترى أهمية مراجعة كل الأفكار التي يتلقاها الطلاب في الكليات والجامعات والمعاهد الدينية ، لأن هؤلاء سيكونون هم المسئولين بالدرجة الأولى عن مجالات الدعوة للدين . في هذا الشأن تقترح الخطة أن تكون هناك لجنة مشتركة بين مصر والولايات المتحدة لدراسة أنسب الأوضاع الممكنة في المقررات الدراسية للكليات الدينية أو الكليات المعنية بتخريج الدعاة ، وقد توصلت الخطة مبكراً إلى هذا الاقتراح فادعت أن هذه اللجنة لا تعني التدخل الأمريكي المباشر في الإشراف على الأزهر وهو ما كان محل مطالبات سابقة من حوإلي 50 عضوا بالكونجرس ولكن الاقتراح المقدم يقضي بأن تتولى هذه اللجنة المشتركة بحث سبل تطوير مناهج الأزهر ودوره الداخلي والخارجي، وأن واشنطن ستقدم في مقابل ذلك مساعدات مالية سنوية لتطوير أبنية الأزهر وأنشطته الإجتماعية ودعم دوره الخارجي!! ووفقاً للخطة الأمريكية فإن الدور الخارجي للأزهر سيجري بالاتفاق بين الطرفين المصري والأمريكي ، حيث تطالب الخطة بأن تكون هناك شعارات مشتركة يتم رفعها بين الأزهر والولايات المتحدة ، وأن هذه الشعارات ستكون بمثابة برامج عمل يتم تنفيذها سنويا وأن تنفق الولايات المتحدة كل ما هو ضروري من أموال لإنجاح هذه البرامج .

واقترحت الخطة أن تكون الأعوام القادمة مخصصة لعالم خالي من العنف والإرهاب، وأن تقوم مؤسسة الأزهر بعقد الندوات والمؤتمرات في كل أو غالبية دول العالم الإسلامي ، وأن تكون هناك مطبوعات صادرة من الأزهر يقوم الجانب الأمريكي بتسويقها في الدول العربية والإسلامية الأخرى بالإضافة إلي توفير الدعم المادي لقيام الأزهر بإعداد موسوعة دينية

كبرى هدفها الأساسي الحض على التسامح والتعاون مع الآخرين، على أن تتضمن هذه الموسوعة الأفكار الثابتة في الدين الإسلامي بالإضافة إلى الأفكار المشتركة مع أصحاب الديانات الأخرى.

وتقترح الخطة الأمريكية في هذا الصدد أن يكون هناك فريق عمل مشترك بين الأزهر والفاتيكان ورجال الدين اليهودي لتطوير هذه الموسوعة سنويا بما يحقق أكبر قدر ممكن من الاتفاق بين الأطراف الثلاثة لمواكبة التطورات الجارية.

توصي الخطة في نهايتها بضرورة وضع إطارها العام موضع التنفيذ مع بدايات هذا العام 2003 بما يمكنها من تحقيق أهدافها مع التوصية بتشكيل اللجنة المصرية الأمريكية على الفور تحت مسمى اللجنة الدينية لمكافحة الإرهاب بما يمكنها من الإشراف الكامل ليس على مؤسسة الأزهر فقط، وإنما على كافة المؤسسات الدينية الأخرى في مصر والشرق الأوسط.

إذن بعد كل ذلك يبقى السؤال: هل ستنجح واشنطن حقاً في أمركة الدين والعقيدة وفقاً للنهج المطروح ؟ وهل ستنجح فعلاً في إجبار حكومات الدول العربية والإسلامية على الإلتزام بالأجندة المطروحة؟.. والسؤال الأهم: إذا حدث ذلك.. فماذا يتبقى لنا؟